Issue 6361 Tuesday 28/5/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6361 الثلاثاء 23 من رمضان 1440 هـ 28 من أيار (مايو) 2019 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

من برمانا البحر يجري جنوباً.. موطن الحضارة الفينيقية 2-2

العوائل تحيي ممتلكات أجدادها والعيش المشترك يسود صيدا

احمد عبد المجيد
بيروت

الى جوار هذا الخان مباشرة، قصر اخر تحول الى متحف اسمه (قصر دبانة) الذي شيد في القرن الثامن عشر، وتتمثل فيه خصائص الدار العربية الاسلامية (العثمانية) الخاصة بتلك الحقبة.

والدخول الى القصر يتم عبر مدرج عال ضيق يقود الى باب خشبية عريضة ثم الى فناء داخلي يؤدي الى الغرف الواسعة او القاعات المحيطة بالفناء. ويشهد هذا القصر الذي يديره احد ورثة عائلة دبانة تساعده سيدة ترتدي ملابس سود طلب اليها تحضير فناجين قهوة لوفد عراقي مؤلف من 8اشخاص، على مهارة الهندسة المعمارية الدمشقية التي

مدخل خان صاصي

تطورت بفعل التقاليد المملوكية وبتأثير من الفن العثماني.

وقال مدير المتحف وهو يقدم لنا نبذة عن تاريخه (في سنة 1920 اتخذ المبنى شكله الحالي مع سطح القرميد الاحمر والواجهة الزجاجية التي تضيئ الباحة الرئيسة). ولم تتول الحكومة تأهيل او ادامة او ادارة المتحف، بل اضطلعت عائلة دبانة بالمهمة من منطلق حرصها على ارث العائلة. ويعكس ذلك وعياً لبنانياً بأهمية المكان والاعتزاز بتراث العوائل. ويقدم هذا الفهم الثقافي الشعبي لنا في العراق تجربة جديرة بالدراسة والاقتداء. فكم منزل او خان مهمل يعود لعوائل وبيوتات بغدادية او عراقية في المدن تحتاج الى اعادة احياء وعرض مقتنيات وكشف نفائس او عرض وثائق؟

وقد اتاح اهتمام هذه العائلة اللبنانية بموروث اجدادها لها، فرصاً للانفتاح على العالم المعني بمبادرات ومشاريع من هذا النوع. ففي العام 1999تم اعتباره وقفاً وفي العام الذي يليه بدئ بترميم المبنى بهدف الحفاظ عليه وفي العام 2001 اصبحت ابواب القصر مفتوحة امام الزائرين، بينما الدراسات جارية لترميم المبنى كله كاملا. وفي العام ذاته انتسب الوقف الى المجلس الدولي للمتاحف ولجنة المساكن التاريخية. ولان مصادر التمويل ذاتية، فان ادارة المتحف تعتمد على التبرعات التي يقدمها اليه الزوار فقط، وهي لا تتقاضى رسوما عن الدخول، وتبيع بعض المشغولات اليدوية والبدائل التراثية للحصول على ارباح اضافية. وأرى ان لجنة الثقافة والسياحة والاعلام البرلمانية العراقية، مطالبة باعداد تشريع لتحفيز العوائل على اعادة تأهيل موروثاتها بالتعاون مع وزارة الثقافة، ووضع حوافز واعفاءات للمبادرات التي تنجح في بلوغ هذه الغاية بالاعتماد على نفسها.

ومن المناسب التذكير بان خان البغدادي القديم في منطقة الميدان شهد مبادرة بحاجة الى دعم وتشجيع حكومي تمثلت باقامة مقهى المدلل، اعتمادا على استثمار فردي، لكن المشروع يحتاج الى توسيع ليشمل بقية ارجاء الخان والمنطقة المحيطة بأسرها. وكانت مصادفة اننا إلتقينا فريقاً من طلبة المرحلة الرابعة بالجامعة اللبنانية يعد مشروعا للتخرج بانجاز شريط مصور عن هذا المتحف. وقد اجرى سلسلة لقاءات مع اعضاء الوفد العراقي. واثنيت انا على الاهتمام الشبابي والجامعي بمشاريع من هذا النوع، كما اشدت بادارة المتحف وعائلة دبانة التي تولت عملية حضارية تضطلع بها، في الغالب، الحكومات.

□□□

تحفل صيدا بقرى زراعية تشتهر بزراعة الموز. وتشاركها في ذلك قرى مدينة صور، التي تزدهر بهذه الفاكهة عبر بساتين غنّاء على طول الطريق بين صيدا وصور، كما تلفت النظر بساتين واسعة للنخيل العامر بالتمور والحمضيات.

ورأينا ان الاهالي يعتنون بهذه الاشجار عنايتهم بالموز، الذي يتسم بأنه صغير الحجم ويلف باكياس البلاستيك وهو في طور النمو بغية المساعدة في نضجه وتسويقه.

ومن قرى صيدا المعروفة، الصالحية وخرطوم ودرب صيدا. ويعتمد سوق المدينة كلياً على منتجات هذه القرى في تلبية حاجة المستهلكين من الخضر والفواكه. وتشتهر صيدا ايضاً بقلعتها التي بناها الصليبيون – كما اسلفت –على جزيرة على الساحل، ولم نصادف جزيرة بالمعنى الكامل، بل هي في الواقع أسس حجرية عملاقة شيدت عليها القلعة.

وقد تحولت اليوم الى مركز سياحي اثري فقط يربطه بالساحل ممر حجري ايضا تقف على مدخله، في الجوار، بعض المشيدات الصغيرة وترسو عنده زوارق الصيد الصغيرة، ويسمى الجزء القريب من البر سهل صيدا، وهو سهل ساحلي يشرف على شرق البحر المتوسط. وتتمتع المرأة بحرية كاملة في التجوال والسير في صيدا على وفق تقاليدها الاجتماعية، فضلا عن وجود ملحوظ للسياح الاجانب وبينهم نساء بلا حجاب وبالازياء المريحة الشائعة ذات النزعة الرياضية. ويبلغ عدد نفوس صيدا نحو 250 الف شخص يعيشون على مساحة تبلغ 70 كيلومترا مربعاً اي بكثافة تقدر بنحو 0,028 نسمة/ كيلومتر مربع. وهي ثالث اكبر المدن اللبنانية واكبر مدن محافظة الجنوب، وان كنا رأينا مدينة صور اكثر تقدما منها من الناحتين العمرانية والسياحية، وكانت الاولى قد شهدت بعد الحرب الاهلية نمواً مدنياً متسارعاً ، بحسب المصادر، ما ادى الى تضخمها وتمددها نمو العديد من القرى المجاورة بحيث اصبحت جزءا من مجالها.

مجال مفتوح

وفعلا فاننا طيلة الطريق اليها ومنها الى صور لم نجد مجالا مفتوحاً بل بلدات متجاورة واحياء ممتدة ساعد على نشوئها ايضا الطريق السريع المسمى (الاوتوستراد) الذي يربطها ببيروت. وفي وثيقة فان (صيدا تضم الدوائر الرسمية والمتاجر والمصارف والمؤسسات التعليمية والاستشفائية والصناعية الرئيسة.

كما يؤمن لها مرفؤها فرصاً اضافية للنمو والاستقطاب). وفي المصادر التاريخية فان اسم صيدا مشتق من اللاتينية واليونانية (صيدون) وبالعبرانية (صيدو) ولا يوجد تفسير واضح لأصل التسمية، فمنهم من ذكر انها تنسب الى صيدون ابن كنعان. ويعتقد ان الاسم مشتق من كثرة السمك في شواطئها او نسبة لاهلها الاقدمين الذين عملوا في صيد السمك.

ويقول المؤرخ الفرنسي جاك نانتي ان اول مدينة اسسها الفينيقيون هي صيدا قبل نحو 2800 قبل الميلاد ثم بنيت مدينة جبيل فأرواد فطرابلس. ويذهب المؤرخ احمد عارف الزين الى ان اسم صيدا مأخوذ من بكر كنعان حفيد نوح سنة 2218 قبل الميلاد وكانت في ايام يشوع بن نون أم المدن الفينيقية. وورد ذكر مجيء السيد المسيح إلى مدينة صيدا في مواقع عدة من أصحاح إنجيل لوقا ومرقس ومتى، فقد ورد على سبيل المثال لا الحصر في الإصحاح السادس من إنجيل لوقا ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع تلاميذه وجمهور كثير من الشعب ومن جمع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم. كما انّ القديس بولس الرسول مر بمدينة صيدا، ويختلف الرواة في تاريخ مروره بها، ويقول الشيخ أحمد عارف الزين في كتابه (تاريخ صيدا) إنّ بولس الرسول مرّ في صيدا لتفقد شؤون المسيحيين وذلك حين ذهابه إلى روما.

وذكرت صيدا مرات عدة في الكتاب المقدس في جزأيه القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل). وترتبط ببعض الوقائع القريبة الدالة على وطنية اهلها ورفضهم التبعية للاجنبي المحتل. وخلال الحرب العالمية الأولى، عانت صيدا الجوع وانتشار داء التايفوئيد، كذلك عُلّق أحد ابنائها وهو المرحوم توفيق البساط على المشنقة مع إخوانه الشهداء في ساحة البرج في بيروت في 6 ايار 1916م، ولما وصل الجيش الإنكليزي إلى ضواحي صيدا عام 1918م، قام المرحوم رياض الصلح مع عدد من الشباب الصيداوي بدخول دار الحكومة فرفعوا على ساريتها العلم العربي، وأعلنوا نهاية الحكم العثماني في الجنوب ونودي برياض الصلح رئيساً للحكومة العربية المؤقتة، التي سرعان ما سقطت بعد دخول الفرنسيين إلى مدينة صيدا وضمها إلى دولة لبنان الكبير عام 1920م. ومنذ فترة ما بعد الاستقلال وحتى اليوم، أخذت صيدا تزدهر يوماً بعد يوم وتتطور تجارياً واقتصادياً وصحياً وثقافياً، فبرزت الحركات الاجتماعية والجمعيات الثقافية والمدارس العريقة، كذلك كثرت المستشفيات والمراكز الطبية وازداد عدد المهندسين والأطباء والصيادلة، فضلا عن أهم رجالاتها من المفكرين والأدباء والسياسيين، مما جعل من مدينة صيدا ثالث المدن اللبنانية من حيث الأهمية وعاصمة محافظة لبنان الجنوبي.

ويعد الصلح في الضمير اللبناني بطلاً وطنياً سميت ابرز ساحات بيروت باسمه ويتوسطها تمثاله الكبير المصنوع من البرونز.

ورغم ذلك فان الوجهة القديمة لصيدا مازالت تحمل معالم بلدة فقيرة تحتاج الى مزيد من التطور والاهتمام. ويعول الاهالي على ممثليهم في البرلمان ولاسيما شقيقة الراحل رفيق الحريري، التي انتخبت نائبا عن المدينة، في تحسين احوالهم ونقل اوضاع مدينتهم نحو الاحسن. وقد صادف ان نجوم برامج ومسلسلات رمضان من اللبنانيين جاءوا الى صيدا بدعوة من السيدة بهية الحريري وامضوا وقتا فيها وتجولوا في سوقها القديم.

وقد وثقت وسائل الاعلام هذه الزيارة ونشرتها في مواقعها ونشرات اخبارها.

ولاننا ننوي الذهاب الى صور للتمتع بمناظر بلاجها السياحي، فان برنامج زيارتنا الى صيدا بدا محدودا، فاضطررنا الى تقليص وجهتنا نحو بعض المعالم الاثرية والتراثية الاخرى كمعبد اشمون ومتحف الصابون، الذي يوضح آلية الانتاج اليدوي لاشهر انواع الصابون المستخرج من زيت الزيتون، والقلعة البرية او قلعة القديس لويس التاسع ملك الفرنجة الذي قاد الحملة الصليبية السابعة، وتلة المريق التي تقع الى الجنوب من القلعة البرية. وهي عبارة عن مرتفع اصطناعي يصل طوله الى نحو مئة متر وارتفاعه الى نحو 50 مترا.

وقد يكون تراكم بقايا اصداف المريق (الموريكس) وهي محار يستخرج منها الصباغ الارجواني. وقيل لنا ان صيدا وجوارها يزخران بالمقامات الدينية اذ تحتفظ صيدا وجوارها بعدد كثير من المساجد والكنائس إضافة إلى مقامات الأولياء والقديسين التي ترجع إلى عصور مختلفة ويحترمها المسلمون والمسيحيون واليهود على حد سواء، وأهم هذه المقامات مقام النبي صيدون الذي كان يقع في البساتين في منطقة البرغوت، أما اليوم فقد أصبح داخل مدينة صيدا، وكانت تحيطه حديقة واسعة ويعتقد أنه كان في الأصل هيكلاً للإله الفينيقي صيدون، ومن هنا تسمية المسلمين له بالنبي صيدون، بينما يزعم اليهود بأنه ضريح زبلون من أبناء يعقوب، ولا يوجد في الضريح ما ينبئ عن صحة نسبته (وتاريخ بنائه)، وكان معظم زواره من اليهود وقلة من المسلمين، ومقام النبي يحيي الذي يقع شرقي صيدا قرب منطقة الحارة.

اما المقابر فلابد من الاشارة الى اهميتها في الموروث الروحي والتاريخي لصيدا التي تم العثور فيها على ناووس الملك الصيدوني اشمون عزر الثاني وهو موجود في متحف اللوفر، والمقبرة الثانية التي تقع تحت قرية الهلالية عثر فيها على نواويس رخامية شهيرة، هي ناووس الاسكندر وناووس الليفي وناووس المرزبان وناووس الندابات، وهي موجودة في متحف إسطنبول. وفي مقبرة عين الحلوة جنوب شرقي صيدا عثر على مجموعة من النواويس الرخامية، وهي حاليا في المتحف الوطني في بيروت.

وكنت قد زرت المتحف اللبناني، وسط العاصمة، قبل سنوات وتجولت في اروقته، لكني لم انجذب كثيرا الى محتوياته قياساً لما وجدته مثلا في متاحف عربية واجنبية، كالعراق ومصر ولندن وباريس. واعزو ذلك الى فقر عمليات التنقيب والبحث عن مواقع اثرية جديدة يزخر بها لبنان، وتعد جناحا مكملا لوجهاته السياحية المشهورة. واذا وقفنا طويلا عند تاريخ صيدا فانها وحدها تكفي لملء متاحف عديدة.

وطبقا لما ورد في المصادر فان، صيدا التي هي موطن الحضارة الفينيقية ادت دوراً مهماً في اكتشاف الأبجدية ونقلها إلى العالم، وعندما نذكر صيدون الفينيقية، لا بدّ أن نذكر معها الدور الحضاري العظيم الذي قدمته هذه المدينة إلى بلاد اليونان، ألا وهو نشر الأبجدية فيها، وهذا ما تؤكده روايات مؤرخي اليونان، انهم عرفوا الهجائية عن طريق الصيدونيين الذين جاءوا إلى بلاد اليونان وصحبة (قدم) أو قدموس نحو سنة 1580 ق.م، والذي حمل معه الحروف الهجائية وبنى مدينة تيبه وتملكها.

كما كان للحضارة الفينيقية دور مهم في اكتشاف مادة الصباغ الأرجواني وتصديرها إلى العالم ويتم استعمال هذه المادة في صباغ الحرير والقطن والصوف الناعم).

أصباغ الارجواني

وتعد مدينة صيدون مكتشفة الصباغ الأرجواني بخلاف ما ذُكر من أنّ صور هي مكتشفته، وقد (وُجد جبل كامل من هذه الأصداف عند مقام أبا روح على شاطئ صيدا الجنوبي ويعود تاريخها إلى أوائل الألف الثاني قبل المسيح في حين أنّ آثار مصانع الأرجوان حول مدينة صور تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد فقط).

والصيدونيون هم أول من صنع الزجاج، ولا سيما الشفاف منه وأنشأوا لصناعته المعامل المهمة، وكانت مصانعهم في صيدون والصرفند أشهر معامل من نوعها في العالم المعروف وقتئذ. كما برع الصيدونيون في صنع الأواني الخزفية وهم أول من نقل هذه الصناعة إلى بلاد اليونان، كما تفوقوا في صناعة الحفر والنقش وصب الذهب والفضة ومختلف المصنوعات المعدنية، وقد وجدنا محالاً صغيراً تعنى بالفضيات والاحجار الكريمة داخل السوق القديم، لم تحظ باهتمام الاهالي سوى السياح.

تبليط الشوارع

وكانوا أول من عنوا بتبليط الشوارع وأحرزوا في صناعة السفن نصيباً وافراً من المجد والشهرة، وكانوا أسبق الأمم إلى ركوب البحر والتوغل فيه. وفي مدينة صيدا ثلاث كنائس اثرية، احداها للروم الارثوذكس والثانية للطائفة المارونية، وهما داخل المدينة القديمة.

وقد صادف وجودنا في قصر دبانة، اقامة قداس يوم الاحد في هذه الكنيسة التي كان يقف عند بوابتها اثنان من عناصر الامن المسلحين يتوليان حماية المصلين.

ومددت رأسي الى الداخل. وفيما كان ابونا المبجل يتولى تلاوة اجزاء من الانجيل ويلقي مواعظه على المصلين.

كانت الشموع تتلألأ عند اطراف المذبح ورائحة البخور تكاد تخترق جدران الكنيسة. وألهمني المشهد، ذكرى زيارتي الى ارمينيا وحضوري قداديس مماثلة في اشهر كنائسها.

ايضا كانت الشموع توقد والبخور يضوع في المكان وسط طقوس روحانية.

اما الكنيسة الثالثة في صيدا فهي للروم الكاثوليك وتقع خارج سوق المدينة في حي مار نقولا. وشيد في صيدا عدد من المساجد داخل صيدا القديمة عند تقاطع الأزقة والدروب، بحيث تفضي هذه الطرق في معظمها إليها.

وكان يلف كل مسجد حديقة وارفة الظلال يجلس فيها الناس بعد الانتهاء من اعمالهم يتسامرون، فاذا حان وقت الصلاة أدّوها في وقتها، فالمقاهي لم تكن موجودة في المدن الإسلامية، ولا يعرف كيف وجدت وانتشرت بحيث لا يخلو شارع من شوارعها القديمة منها، واغلب ظني ان البطالة المتفاقمة ورغبة الاتصال المواجهي بين السكان وراء انتشارها.

وهذه المقاهي ملاصقة تماماً للمساجد.

والملفت للنظر أن هذه المساجد مقامة على خطين مستقيمين من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال من المدينة، فالمسجد العمري الكبير ومسجد قطيش ومسجد الكيخيا ومسجد أبي نخله على خط مستقيم واحد، يوازيه على خط آخر يضم مسجد بطاح ومسجد باب السراي ومسجد البحر.

أمّا المسجد البراني فيقع خارج سور البلدة، ومسجد القلعة البرية يقع في قلعة البحر.

مدخل الشوق الشعبي في صيدا حيث فلافل ابو رامي

بساتين النخيل عامرة في مركز محافظات الجنوب

قلعة صيدا على مرفأ البحر

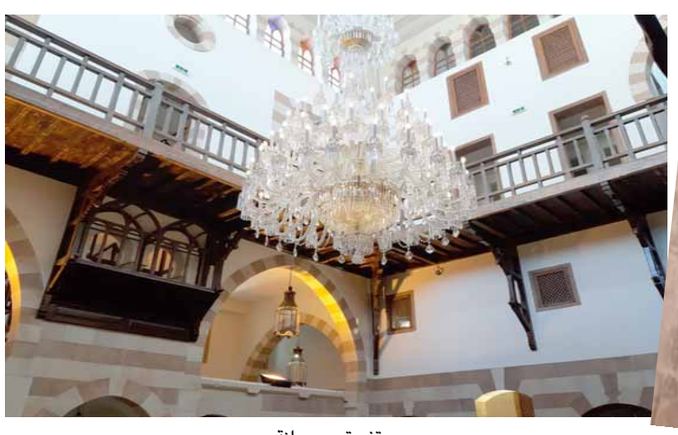
سقف قصر دبانة

احد المزارات في المدينة

رحم الله من عرف قدر نفسه

الأخلاق سجايا وطبائع تعكس مباديء وقواعد تنظم سلوك الناس والمجتمعات وأفعالهم سواء كانت خيراً حسناً وتضعهم في مكانة منيفة راقية تعلوها آثال المجد والشرف ، أو شراً وقبحاً مؤطراً بكل غوائل الشر الوبيل وأقصى درجات الهوان . وفي كلتا الحالتين يتمترس الصنفان أعلاه خلف أفكار أقل ما يقال عنها أنها إيديولوجيا جينية وأفكار عتيقة تتوارثها الأجيال وتتوشح بها القلوب والعقول قبل الوجوه ، عقول نيرة مفتوحة بها مغالق الخير والسلام والحرية، وعقول مؤصدة فاسدة تعتمد الأفكار المتهاوية والمستهلكة والنافقة أحياناً بسبب محدودية التفكير والقصور العقلي . وبين هذا وذاك تتولد وتنمو ثقافات تتصادم خلافياً في مغارب الدنيا ومشارقها . وغالباً ما تأخذ هذه الأفكار طابعاً دينياً أو سياسياً أو عقائدياً وإيديولوجياً وأقليمياً وطوائفياً وغير ذلك ، وكل يتوق لما يصبو إليه متبعاً أساليب عدة أوسعها وأشهرها أسلوب البروباغندا وتلميع وتزيين صورة الرديء السيء وتشويه وتسطيح صورة الأصيل في أحايين عديدة تتعدى ذلك الى تعتيم الصورة وتجهيل الناس ونشر النفاق والتضليل والمداهنة المقيتة. وكانت حصة البلدان العربية والإسلامية من مآلات الأمور وتلك المتناقضات كبيرة جداً بحيث تمترس شخوصها خلف تلك المتناقضات والخلافات العقائدية العتيقة وأفضى ذلك الى التصادم والإقتتال وإهراق الدماء للأسف الشديد إنطلاقاً من ترهات وأباطيل وأكاذيب ما أنزل الله فيها من سلطان، تحمل في طياتها كل ضروب غوائل وسخائم الشر الوبيل الباخع والتي من المؤكد توقع سخائم الشر والخراب وتدمير وشائج نسيج المجتمعات وتضع الطرف الآخر في أتون الحيف والجور والظلم وتدخله في ديجور ظلام دامس ينذر بأقسى ضروب وأشكال الخطر، يستخدم الطرف الأقوى في المعادلة غالباً أسلوب الغطرسة والتطاوس والقفز على حقوق الطرف الآخر الأضعف، وأحياناً يلغيها متعكزاً على شعارات وعقد عتيقة، وأحياناً مستحدثة لكنها تستمد وجودها من أبستمولوجيا (Epistemology) مشوهة لا معرفية وغير واقعية وغير صحيحة في مواضيعها وفرضياتها ونتائجها وقوانينها، ولكن يتم من خلال ذلك العمل على إبراز إيديولوجياتها العتيقة البالية المسربلة تاريخياً التي أكل الدهر عليها وشرب وإعطاءها القدسية والمكانة العظمى. وقيل سابقاً (ليس من المنطق أن تتباهى بالحرية و أنت مكبل بقيود المنطق). وفي ظل هذه المقدمات نجد أن الكثير يذهب بعيداً في النصح والإرشاد والتوجيه على عمل الخير والمحبة والعدل وعدم إغتصاب حقوق الآخرين ووو وتحسب أنه حقاً داعية وهو في حقيقته يناقض نفسه فترى خلف ذلك وجهاً آخراً مختلفاً تماماً عما يظهره ويتظاهر به. وكثيرا ما نرى من يحث الناس على عدم التدخين وهو مدمن على التدخين، ومن يحث على إعطاء اليتيم حقه وهو يغتصب حقوق شقيقاته أو أمه أو أبناء أخيه من ميراث، وهناك من يتظاهر ويمنع تناول الخمرة وهو يمارس كل الموبقات كإحتساء الخمر وأرتياد المراقص الليلية، ومنهم من يطلق اللحية ويرتدي العمامة ويدعي التدين والورع والتقوى وهو بعيد كل البعد عن ذلك ، ومنهم من يرتدي العقال والعباءة ويدعي المشيخة ويسخرها للباطل والحرام والإنحياز للظلم وللباطل ، وهناك من يصدع رؤوسنا من خلال الفضائيات بشأن محاربة الفساد ويدعي النزاهة وهو غارق حتى هامة رأسه بالفساد والرشوة والأختلاس ووو. وأيضا نجد من يدعي الوطنية ويجاهر بحب العراق وأن العراق في حدقات عيونه وفي قلبه ولكنه مستعد لبيع العراق وأهله بوريقات خضر حقيرة ، ومنهم من ينادي بالإصلاح وهو غول وحوت في الخراب، ومنهم من يدعي الرهبنة والزهد والتصوف والتعفف وهو من أفسد الفاسدين، ومنهم من ينادي ويطالب بتطبيق الدستور والقانون وهو أول من يخرق الدستور والقانون علناً وفي الأضواء لا خلفها ، كما نجد مسؤولا يلعن سلفه وهو ليس بأفضل منه . وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة . رحم الله إمرءاً عرف قدر نفسه . ورحم الله الصادق الصدوق . ورحم الله صاحب الوجه الواحد الذي لا يغير وجهه تلوناً كالحرباوات ولا ينزع جلده ورداءه . ورحم الله من كانت كلماته كما هي على قلبه ولسانه ولا يتقافز طمعاً بالمال والمنصب والجاه . ولعن الله كل من حنث باليمين وباع أو يبيع العراق وشعبه وأرضه وماءه وسماءه ويصطف مع أعدائه. ومن الأمور الملفتة للنظر نجد اليوم أن مواقع التواصل الاجتماعي تفيض بالسباب والشتائم لأبسط الأشياء وتؤجج العداوات والتحريض وتتبع العورات، وإثارة النعرات. وما لا يمكن تصوره أن تصدر هذه الأخلاق المشينة عن قلب سليم، أو نفس مطمئنة ، أو من مقتد بنبي الرحمة، ونبراس الأخلاق السامية، الذي امتدحه مولاه بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) .

والقلب السليم هو الذي لا يتعلق به شك ولا شرك، ولا يغشاه حسد، ولا حقد، سلم من العداوة والبغضاء، يحب للناس الخير، ويتمنى لهم الخير والسعادة. وللأسف يغفل كثيرون عن قلوبهم، ويهتمون بنظافة أجسادهم، وبواطنهم مليئة بسخائم الأخلاق، ويعطرون ملابسهم، ودواخلهم نتنة الرائحة. أن مداواة القلوب أهم وأوجب من الإهتمام بالمظهر ، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) .

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: (التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره (ثلاث مرات) وفيه: إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)، وأشار بأصابعه إلى صدره. الإصلاح والخير يبدأ من النفس قبل الآخر ، رحم الله من عمل بذلك ، ورحم الله شاعرنا أبا الأسود الدؤلي القائل :

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

حسن السراي
بغداد

أصحاب النظرية الغبية

قد لاتصدق إن قلت لك أن أصحاب النظرية الغبية الحديثة في سياسة اليوم ، هم ساسة الإدارة الأمريكية وعلى التعاقب منذ احتلال العراق وحتى اليوم، واذا كان محك الاختبار هو الواقع ، فإن الأمريكان استخدموا نظرية الاستحمار ، وخلط الأوراق في التلقي السياسي ، واستخدموا وسيلة الخبث الغبي ، لنشر الفوضى والخراب في بلدان العرب ، وفي مرحلة لاحقة انتقلوا بعربة خراب العرب ، من مرحلة الاحتلال المباشر ، الى مرحلة ما يسمى الربيع العربي ، أي الحطام العربي ، ويبدو أنهم لم يحسنوا المشورة من سلفهم الناجح (ابو ناجي) بريطانيا ، ولكن بما انهم وجدوا من هو أغبى منهم في تقبل أفكارهم ، فقد ظنوا وظن الآخرون أنهم دهاة السياسة ، أصعب شيء في السياسة ، ان ترصد لها موقفاً ، او تعزوها الى لون ، او شكل ، او رائحة ، او ذائقة ، او مبدأ ، فهي مثل الحرباء المكعبة ، تدور على جميع الوجوه ، وما اشبه المشهد السياسي بالمشهد الأدبي ، هنالك فيروسات ، وهنا فيروسات ، هذا يسوق الى ذائقتك كلمات الطلاسم ، والسفاسف، وترهات الوهم الإبداعي ، وخراطيم الموجات الصوتية ، فيفسد ذائقتك ويصيبها بالعقم ، وذاك يسوق عليك طلاسم المواقف ، فيفوت عليك فرصة ان ترى حقيقة الوقائع التاريخية من حيث هي ، ذلك مسلط بالقلم، وهذا مسلط بالسيف ، فلا تستطيع ان تدين هذا ، او تلوم ذاك، استخدم الأمريكان النظرية الغبية ، لاستغباء الشعوب ، هم في مجالات التطور الأخرى حققوا فوق الـ 90: لكنهم في السياسة مكملون، فسوقوا درس إكمالهم ، وحولوه إلى نجاح برؤوسنا نحن (الغلبة) ، الأمريكان اثبتوا أنهم قوة كبيرة في غباء السياسة ، وتطور الميادين الأخرى ، بدليل أنهم كانوا دائماً ، يخدمون الخصوم ، ويطيحون بالأصدقاء ، والمحايدين ، والأبرياء، وهم عندما احتلوا العراق ، كانت درجتهم في الاستقراء صفراً، وفي المشورة ، (5 تحت الصفر!) غريب حقاً أن أقول مثل هذا ، ولكن على منطق ، ان بعوضة قلمي تدمي مقلة الأسد!

رحيم الشاهر
كربلاء